المحاضرة رقم07 في النّقد الأسلوبي

محدّدات الأسلوب02/ التّركيب

*01/تعريف:

التّركيب لغة من ركّب الشّيء تركيبا وضع بعضه على بعض فتركّب،... والتّركيب اسم المركّب في الشّيء كالفصّ يركّب في كفّة الخاتم...وتقول: في تركيب الفصّ في الخاتم، والنّصل في السّهم: ركّبته فتركّب، فهو مركّب وركيب[1].

كذلك يقال ركّب الشّيء: ضمّه إلى غيره فصار بمثابة الشّيء الواحد في المنظر، وركّب الدّواء ونحوه ألّفه من مواد مختلفة[2].

والأصل في التّركيب "أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها وانضمامها، لحروف أخرى وانضمام الحروف في الكلمات، والكلمات في أنساق تؤدّي موقعا من الدّلالة المعنويّة، فيكون إذن نسيجا من العلاقات الّتي تقوم بين الحروف والكلمات، وهذا ما بحثه العرب فيما يسمّى بالإسناد"[3].

فالتّركيب إذن يختصّ بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة، وحركة العناصر اللّغوية وانسجامها وتلاؤمها في نطاق تامّ مفيد، تتآلف فيه المعاني وتتناسق الدّلالات لتؤلّف جملة/نصّا ذو وحدة متكاملة بها فائدة، وهو ما أشار إليه "عبد القاهر الجرجاني" في نظريّة النّظم المعروفة؛ حيث يقول: "واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه شكّ، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتّى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب تلك"[4].

ومن ثمّ فعلم التّركيب(Syntaxe)، هو العلم الّذي يهتمّ بتنظيم وترتيب الكلمات في الجمل.

* 02/ التّركيب في الدّماغ:

---

[1] الزّبيدي: تاج العروس، تح:علي بشري، ج02، (دت)، (دط)، مادة:ركب، ص35، 36.
[2] إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ج01، مادّة: ركب، ص368.
[3] صالح بلعيد: التّراكيب النّحويّة وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجانيّ، ديوان المطبوعات الجامعيّة، (دط)، (دت)، ص102.
[4] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمّد رضوان الدّاية وفائز الدّاية، دار قتيبة، لبنان، ط01، 1983، ص46.

أثناء التّركيب يرتدّ في الدّماغ من حيث لا يشعر المتكلّم عمليتان أساسيتان:

_أ/ عمليّة تحليليّة: يميّز فيها العقل بين عدد من العناصر الّتي تنشأ بينها علاقات معيّنة.

_ب/ عمليّة تركيبيّة: يركّب فيها العقل ويؤلّف بين هذه العناصر المختلفة لتكوين البناء اللّغوي وبين هاتين العمليتين تتمّ الجوانب الهامّة المميّزة للنّحو من اختيار وموقعيّة ومطابقة، وإعراب وتبدو مقدرة منشئ القول وبراعته في طرق التّفاوت والتّرتيب الخاصّ داخل البناء اللّغوي الّذي مبعثه دقّة النّظر في اختيار وحدة على وحدة وتفضيل شكل على شكل،...ودّقة في توخّي معاني النّحو فيما بينها من علاقات...أي براعته في استفادته من طاقات اللّغة حسب قوانينها[1].

03 /أنواعه:

يتنوّع التّركيب عند العرب بحسب مكوّناته إلى خمسة أنواع[2]:

أ/ التّركيب الإضافيّ: وهو ما ركّب من مضاف ومضاف إليه، مثل أبو عمر، أبو خالد. أمّ جمانة.

ب/ التّركيب الإسناديّ: ما ركّب من جملة فعليّة؛ أي من فعل وفاعله أو نائب فاعله، مثل فتح الله علينا، وإمّا جملة إسميّة؛ أي من مبتدأ وخبر، مثل: الخير آت بإذن الله[3].

ج/ التّركيب المزجي: مركّب من كلمتين امتزجتا (أي اختلطتا)، بأن اتّصلت ثانيهما بنهاية الأولى، حتّى صارت كالكلمة الواحدة، مثل بور سعيد، وبعلبك، سامراء(والّتي كان أصلها سرّ من رأى).

د/ التّركيب العدديّ: هو نوع من أنواع المركّب المزجيّ، وإن رأى آخرون أنّه يخالفه[4] ويقصد به كلّ عددين بينهما حرف عطف مقدّر مثل: أحد عشر، وخمسة عشر، وسبع عشرة.

---

[1] نور الدّين السّد: الأسلوبيّة وتحليل الخطاب دراسة في النّقد العربيّ الحديث، تحليل الخطاب الشّعريّ والسّردي، دار هومه، الجزائر، (دط)، 2010، ص189.

[2] إحسان عبّاس: النّحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط03، (دت)، ج01، ص300، 301، 313.

[3] سمير اللّبدي: معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية، مؤسّسة الرّسالة، لبنان، دار الفرقان للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط02، 1986، ص95.

[4] إحسان عبّاس: النّحو الوافي، ج04، ص313.

هـ/ التّركيب البيانيّ: وهو نوعان[1]:

_تركيب وصفيّ: ما تألّف من صفة وموصوف؛ مثل نجح الطّالب المجتهد، رسب التّلميذ الكسول.

_تركيب توكيديّ: ما تألّف من مؤكّد ومؤكّده؛ مثل: حضر الطّلاب كلّهم، غابت البنات جميعهنّ.

04 / التّركيب عند القدماء:

عدّ النّقاد العرب الأسلوب تركيبا لغوّيا ذا قيمة جماليّة وفنيّة، وهذا التّركيب يحوّل الخطاب الأدبيّ إلى عمل فنّي من خلال وحدته وانسجامه الدّاخليّ، وهذا يتّفق مع مفهوم الأسلوب المبني أساسا على "لسانيات النصّ" الّتي تعدّ الأسلوب طريقة لباء النّص.

ويقول "توفيق الزّبيدي" في مجال حديثه عن مفهوم الخطاب وخصائص أدبيّته عند النّقاد العرب القدماء ما يلي: "إنّ مستقرئ التّراث النّقدي يشدّ انتباهه تأكيد النّقاد القدامى على فكرة "النّظام" كمقوّم أساسيّ لبنية النّص وقد عبّروا عن ذلك بعدّة مصطلحات مثل: "النّظم" و "المشاكلة" و"الرّصف" و"الائتلاف" و"البناء" وهذه المصطلحات وإن اختلف استعمالها أحيانا فهي تدّل على أنّ ما يميّز "أدبيّة" النّص هو هذه البنية الّتي تجعل منه لحمة واحدة"[2].

05/ التّركيب عند المحدثين:

في تحليله للخطاب الشّعري قسّم الباحث "محمّد مفتاح" التّركيب إلى نوعين: أوّلهما التّركيب النّحوي، وثانيهما التّركيب البلاغيّ؛ حيث يقول: "إنّ المسلّمة الّتي تنطلق منها الدّراسات الخاصّة بالنّحو العربيّ هي أنّ الجملة العربيّة تبتدئ بالفعل، وينتج عن هذا نتائج خطيرة على مستوى دراسة المعنى والتّداول للجملة العربيّة، ولذلك فإنّ "جاء محمّد" تعتبر تركيبا جاء على أصله، أي أنّه محايد، لا يتضمّن أيّ إيحاء تداوليّ، ولكّننا إذا قلنا "محمّد جاء" فإنّ التّركيز وقع على محمّد دون سواه من الأسماء المتبادرة إلى ذهن المخاطب الّتي يشترك في معرفتها

---

[1] صالح بلعيد: التّراكيب النّحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجانيّ، ص 63.

[2] توفيق الزّبيدي: مفهوم الأدبيّة في التّراث النّقدي إلى نهاية القرن الرّابع، منشورات عيون، الدّار البيضاء، المغرب، ط02 ، 1987، ص155.

مع المتكلّم، وكذا: إيّاك أحبّ، وقائما كان زيد، فتقديم "إيّاك" قصر المحبّة على المخاطب دون غيره، كما أنّ تقديم قائما، تعني أنّه لم يكن جالسا ولا نائما..."[1].

**** ملاحظة:***

_الملاحظة الأولى: تقوم ظاهرة التّركيب في المنظور الأسلوبيّ على ظاهرة إبداعيّة سابقة عليها وهي ظاهرة الاختيار، والّتي لا تكون ذات جدوى إلاّ إذا أحكم تركيب الكلمات المختارة في الخطاب الأدبيّ.

_والملاحظة الثانيّة: أنّ كلّ تركيب أسلوبيّ يتضمّن أبعادا دلاليّة تخصّه، وأنّ أيّ تغيير في بنية التّركيب بتقديم أو تأخير في بعض وحداته اللّغويّة، أو تعريف أو تنكير أو إظهار أو إضمار، كلّ ذلك يكون بهدف ويتقصّده المنشئ، عن وعي وإدراك ويمكن أن تظهر خاصيّة أسلوبيّة في التّركيب دون قصد، فمهما كان التّغيير طفيفا في التّركيب فإنّه يأتي استجابة لنسق ويتطلّبه السّياق؛ فإحلال صيغة اسم الفاعل مثلا محلّ الصّفة المشبّهة، أو إحلال المضارع محلّ الماضي أو الأمر، أو إحلال الاسم محلّ الفعل إنّما هي ظواهر لغويّة يتطلّبها الأسلوب ويستدعيها المقام أو السّياق، ومن المؤكّد أنّ ذلك يعطي صورة تركيبيّة مختلفة ويترتّب عن ذلك معاني مختلفة لأنّ طريقة التّركيب اللّغوي للخطاب الأدبيّ هي الّتي تمنحه كيانه وتحدّد خصوصيّته ولذلك كان "ميشال ريفاتير" يركّز على الخطاب في ذاته ويعزل كلّ ما يتجاوزه من مقاييس اجتماعيّة أو ذاتيّة؛ فالخطاب الأدبيّ هو تركيب جماليّ للوحدات اللّغوية تركيبا يتوخّى في سياقه الأسلوبيّ معاني النّحو، ومن هنا يكسب وظيفته الأدبيّة الّتي هي سرّ من أسرار خصائصه التّركيبية البنيويّة والوظيفيّة[2].

---

[1] محمّد مفتاح: تحليل الخطاب الشّعري، استراتيجيّة التّناص، المركز الثّقافي العربي، لبنان، المغرب، ط03، 1992، ص69.
[2] نور الدّين السّد: الأسلوبيّة وتحليل الخطاب دراسة في النّقد العربيّ الحديث، تحليل الخطاب الشّعريّ والسّردي، ص190.